ملخص كلمة

المطران منير حنا(*)

أصحابَ الفضيلةِ والغِبطةِ والنِّيافةِ والسِّيادةِ

الإخوةُ والأَخَواتُ الحُضورُ،، ملخص كلمة المطران منير حنا

أودُّ أن أنقِلَ لكم في البِدايةِ تحيَّةً خاصَّــةً من غِبطةِ رئيسِ أســاقفةِ كانتربري/ جاسـتن ويلبي الذىٰ سـعِدَ كثيرًا بالمُشـارَكةِ فىٰ مجلسِ حُكماءِ المُسـلِمينَ -والذىٰ عُقِد في «أبو ظبي» في نوّـمبرَ الماضي-.

وأودُّ أيضًا أن أُعبِّرَ عن شُكري وتقديري لمجلسِ حُكماءِ المُسلِمينَ بقيادةِ الإمامِ الأكبرِ علىٰ المُبادَراتِ الجريئةِ التىٰ يأخذُها المجلِسُ مِثلُ مؤتَمرِنا هذا الذىٰ يتناولُ مَوضوعَ الحُرِيَّةِ وحُقوقِ المواطَنةِ.

إنَّ حِمايةَ حُقوقِ الإنسـانِ والمواطَنةِ هو أمرٌ قديمٌ قِدمَ الإنسـانيَّةِ؛ فلقد أوصىٰ اللهُ خالِقُ السَّماءِ والأرضِ وكلِّ البشَرِ بأن لا يعتدي إنسانٌ علىٰ حُقوقِ أخيه الإنسانِ بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ.

وهذا واضِـحٌ في الوصـايا العشرِ ـ التي أعطاها اللهُ لموسـىٰ حتَّىٰ تكونَ ناموسًـا للإنسانِ يتَّبعُه ويقتدي به في عِلاقتِه مع اللهِ ومع إخوتِه في الإنسانيَّةِ؛ لذلك نجِدُ أنَّ أوَّلَ هذه الوصـايا هي أن «تُحِبَّ الرَّبَ إلهَك.. وتُحِبَّ قريبَك كنفسِـك» والأساسُ في هذه الوَصيَّةِ هو حُبُّ اللهِ الذىٰ إذا ملأَ قلبَ الإنسانِ فإنَّه يَدفعُه أن يُحِبَّ قريبَه وأخيه فىٰ الإنسانيَّةِ.

ويؤكِّدُ اللهُ فىٰ باقي الوصــايا أنَّ حُبَّ اللهَّ وحُبَّ القريبِ يُحتِّمُ علىٰ كلِّ مؤمِنٍ أن يحترِمَ حُقوق إخوتِه فىٰ الإنسانيَّةِ وأن لا يقتُلَ ، ولا يزني ، ولا يسرِقَ ، ولا يَشهدَ بالزُّور، وكلُّ هذه الوصــايا مِن شــأنِها الحِفاظُ علىٰ حقِّ الآخَرينَ فىٰ الحياةِ الكريمةِ(*).

وأكَّد المســيحُ علىٰ أهميَّةِ حُبِّ الآخَرينَ وعدمِ الإســاءةِ لهم واحترامِ حُقوقِهم، ونرىٰ ذلك فىٰ قَولِه: «قد سَــمِعتُم أنَّه قيلَ للقُدَماءِ: لا تقتُل، ومَن قتَلَ يكونُ مُستَوجِبَ الحُكمِ؛ وأمَّا أنا فأقولُ لكم: إنَّ كُلَّ مَن يَغضبُ علىٰ أخيه باطِلًا يكونُ مُســتَوجِبَ الحُكمِ، ومَن قالَ لأخيه: رَقا(*).. يكونُ مُســتَوجِبَ المجمَعِ، ومَن قالَ: يا أحمقُ ... يكونُ مُستَوجِبَ نارِ جهنَّمَ؛ فإن قَدَّمتَ قُربَانَك إلىٰ الــمَذبَحِ وهُناك تَذكَّرتَ أنَّ لأخيكَ شَيئًا علَيك ...»(*).

كما أعلَن المسيحُ في بِدايةِ خدمتِه علىٰ الأرضِ أنَّه جاء ليُسانِدَ الضُّعفاءَ والمأسورينَ والمُنسحِقينَ عِندما قال: «روحُ الرَّبِّ عليَّ؛ لأنَّه مَسحني لأُبشِّرَ المساكينَ، أرسَلَني لأَشــفيَ المُنكَسِرِي القُلُوبِ، لأُناديَ للمأســورينَ بالإطلاقِ، وللعُميِ بالبَصَرِ، وأُرسِلَ المُنسَحِقينَ في الحُرِّيةِ»(*).

وعِندَما نتأمَّلُ في تعاليمِ الدِّينِ الإســلاميِّ نجِدُ أمثلة كثيرةً تحُثُّ علىٰ إقرارِ العَدلِ واحتِرامِ حقِّ المواطَنةِ وعدمِ التَّفرِقةِ بينَ مُواطنٍ وآخَرَ؛ ومن الآياتِ القُرآنيَّةِ التي تؤكِّدُ ذلك ُىٰ ي ًّ ُ [النحل: ٩٠]، وكذلك الحديثُ النَّبويُّ الذىٰ يؤكِّدُ المُساواةَ بينَ المُســلمِ والذِّميِّ في الحُقوقِ: «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»، ولا شــكَّ أنَّ

صـــحيفةَ المدينةِ كانت -ولا زالت- مِثالًا رائعًا لميثاقٍ يُنظِّمُ حقَّ المواطَنةِ ويُحافِظُ علَيه في مُجتمَعٍ تتعدَّدُ فيه الأديانُ والخلفيَّاتُ العِرقيَّةُ.

ومِن هذه المبادئِ الدِّينيَّةِ الرُّوحيَّةِ جاءت مواثيقُ ودساتيرُ دوَلِ العالَمِ مؤكِّدةً أهميَّةَ حِمايةِ حُقوقِ الإنســانِ؛ فالدُّســتورُ المِصرـيُّ يُقِرُّ أنَّ جميعَ المواطِنينَ مُتســاوونَ في الحُقوقِ والواجِباتِ، وأنَّ الحُرِّيةَ الفرديَّةَ هي حقٌّ طبيعيٌّ ولا تُمسُّ، وأنَّ الدَّولةَ تضمنُ حُرِّيةَ العقيدةِ والعِبادةِ، وأنَّ لكلِّ مواطنٍ حُرِّيةَ التَّعبيرِ عن رأيِه.

وبالرَّغمِ من كلِّ هذه المبادئِ الدِّينيَّةِ والــمَواثيقِ والإعلاناتِ الدَّوليَّةِ؛ فإنَّنا نجِدُ أنَّ حوادِثَ انتهاكِ حُقوقِ الإنسانِ -بما في ذلك حقُّ المواطَنةِ- تحدُثُ كلَّ يَومٍ في كلِّ دوَلِ العالَمِ، وعادةً يرجِعُ ســببُ هذه الانتهاكاتِ إلى عدمِ إيمانِ البعضِ بحقِّ المواطَنةِ، أو عدمِ إيمانِ السُّــلطاتِ والحُكوماتِ بما وقَّعت مِن مواثيقَ وإعلاناتٍ؛ وهذا يترُكُ حقَّ المواطَنةِ مُجرَّدَ حِبرٍ على ورَقٍ بعيدًا عن المُمارَســةِ اليَوميَّةِ: فهُناك الكثيرونَ المحرومونَ من حقِّ الحياةِ لأنَّهم فُقراءُ وغيرُ قادرينَ على شِراء الطَّعامِ والدَّواءِ، وهُناك الذين سُــلِبوا حقَّ الحُرِّيَّةِ والعَيشِ الكريمِ لأنَّهم مُســتعمَرونَ، وهُناك الذين يُضطهَدونَ ويُعذَّبونَ ويُسجَنونَ ويُعتقَلونَ بسبب آرائِهم السِّياسيَّةِ أو مُعتقداتِهم الدِّينيَّةِ أو انتماءاتِهم القَبَليَّةِ.

والسُّؤالُ الذي يبرُزُ أمامَنا في ضَوءِ ما سبق ذِكرُه هو: هل لرجالِ الدِّينِ دَورٌ في إقرارِ حقِّ المواطَنةِ، أم أنَّ هذا هو دَورُ السِّياسيِّين وناشطي حُقوقِ الإنسانِ؟

وإجابتي علىٰ هذا السُّؤالِ تأتي مِن قناعتي الكامِلةِ بأنَّه علىٰ رجُلِ الدِّينِ أن يُناديَ بتحقيقِ العَدلِ والمُساواةِ بينَ البشرِ؛ لأنَّ فىٰ ذلك تحقيقًا لخُطَّةِ اللهَّ الذي خَلَق البشرَ أحرارًا ومُتساوينَ وأوكَل إليهم مُهِمَّةَ إثمارِ وإعمارِ الأرضِ كلِّها.

إنَّ واجِبَ رجُلِ الدِّينِ أن يُطيعَ ما أمَر به اللهُّ، وهذا يبدو واضِحًا في قَصَصِ كثيرٍ من الأنبياءِ، ومن أوضَحِ الأمثلةِ قِصَّةُ موسىٰ النَّبيِّ التي تحكي كيف أنَّ اللهَّ أرسَلَ موسىٰ ليُساعِدَ شعبَه أن يتحرَّر من بطشِ فِرعَونَ وينطلِقَ لعِبادةِ اللهَّ الواحدِ.

وفي عصرِنا الحديثِ نذكُرُ جِهادَ القِسِّ الأمريكيِّ «مارتن لوثر كينج» لإنهاءِ التَّمييزِ العُنصريِّ بينَ السُّود والبِيضِ فىٰ الوِلايات المُتحِدَّةِ الأمريكيَّةِ.

وهذا يقودُنا أن نسألَ: كيف يقومُ رِجالُ الدِّينِ بإقرارِ ودعمِ حقِّ المواطَنةِ؟

وقبل البحثِ في الإجابةِ عن هذا السُّؤالِ أوَدُّ أن أؤكِّدَ أوَّلًا علىٰ أهميَّةِ أن يأخُذَ رِجالُ الدِّينِ زِمامَ المُبادَرةِ وأن يكونوا سبَّاقينَ فيما يقومون به؛ فإنَّ هذا أكثرُ فاعِليَّةً من مُجرَّدِ الانتظارِ حتَّىٰ تقعَ انتهاكاتُ حُقوقِ المواطَنةِ ويكونَ دَورُ رِجالِ الدَّينِ هو مُجرَّدَ ردِّ فعلٍ لهذه الانتهاكاتِ؛ فالوِقايةُ خيرٌ من العِلاجِ -خاصةً فىٰ هذا النِّطاقِ-.

ولكَي يكونَ لرجالِ الدِّينِ دَورٌ فعَّالٌ فىٰ إقرارِ وحِمايةِ حقِّ المواطَنةِ ينبغي علَيهم أن يوضِّحوا التَّعليمَ ا لدِّينيَّ الصَّحيحَ في هذا الأمرِ، والتَّصدِّي للآراءِ والتَّفسيراتِ الخاطئةِ التي تدفَعُ البعضَ لانتهاكِ حُقوق المواطِنينَ؛ ويجِبُ علىٰ

رجالِ الدِّينِ الذين يعِظونَ بالحقِّ ألَّا يعبئوا لهُجومِ المُتطرِّفينَ الذين يروِّجونَ للأفكارِ الخاطئةِ.

ولا شكَّ أنَّ رجالَ الدِّينِ لا يستطيعونَ أن يقوموا بدَورِهم في إقرارِ حقِّ المواطَنةِ دونَ أن يكونوا هُم على وعيٍ وقناعةٍ بحقِّ المواطَنةِ؛ وهذا يتأتَّى بتدريبِ الأئمَّةِ والقساوسةِ وتَوعيتِهم -وهذا أمرٌ في غايةِ الأهمِّيةِ- لتجنُّبِ الأفكارِ الخاطئةِ التي تؤدِّي إلى عدمِ احترامِ حُقوقِ الإنسانِ.

وحيثُ إنَّ الإعلامَ يلعبُ دورًا بالِغَ الاهميَّةِ في حياةِ الشُّعوبِ؛ فإنَّه من الضَّروريِّ أن يتعاوَنَ رجالُ الدِّينِ مع رجالِ الإعلامِ، وأن يستغِلُّوا الفُرَصَ التي تُتاحُ لهم لإقرارِ حقِّ المواطَنةِ وتَوضيحِ مَوقفِ الدِّين مِن هذا الحقِّ؛ فهذا -بلا شكٍّ- يُساعِدُ على تفعيلِ حقِّ المواطَنةِ وإخراجِه من حيِّزِ الوثائقِ إلى حيِّزِ المُمارَسةِ اليَوميَّةِ.

ومن الضَّروريِّ أيضًا أن يتعاوَنَ رجالُ الدِّينِ مع بعضِهم البعضِ -مهما تنوَّعت أديانُهم- لإقرارِ حقِّ المواطَنةِ، وذلك بطُرُقٍ عمليَّةٍ.

وأذكُرُ هُنا مشروعَ «معًا من أجلِ مِصرَ» الذي تمَّ تحت رِعايةِ بيتِ العائلةِ المِصريَّةِ، والذي هدَفَ إلى تدريبِ الأئمَّةِ والقساوسةِ على العملِ المُجتمَعيِّ المُشترَكِ؛ فكان له نتائجُ رائعةٌ على المُجتمَعِ المِصريِّ.

وأخيرًا، أوَدُّ أن أُكرِّرَ أنَّ دَورَ رجالِ الدِّينِ فِيْ إقرارِ حقِّ المواطَنةِ هو دَورٌ فِيْ غايةِ الأهمِّيةِ- لكن لا يُمكِنُ القيامُ به دونَ إيمانٍ كاملٍ وقناعةٍ تامَّةٍ بأنَّ إقرارَ العَدلِ والمُساواةِ بينَ النَّاسِ هو مشيئةُ اللهَّ لكلِّ خليقتِه من البشرِ.

فليمنحْنا اللهُّ الإيمانَ والشَّجاعةَ لنكونَ سببًا فِيْ تحقيقِ مشيئتِه وعَدلِه لكلِّ شُعوبِنا.